لَوْ كُنْتُ



كتابة: أحمد طي

رسم: سرين متى





يُحْكى أنَّ نَحّاتاً شابًّا طَموحاً كانَ يَنْحَتُ صَخْرَةً في إحْدى البراري. وعِندَ هُبوبِ نَسيمٍ عَليلٍ شَعَرَ بِالنُّعاسِ واسْتَسْلَمَ لِلنَّوْمِ عِنْدَ أَصْلِ سِنْدِيانةٍ عَتيقةٍ قَريبةٍ. وبَيْنما هُوَ نائمٌ حَلُمَ بِجِنِّيَّةٍ أَخْبَرَتْهُ أنَّ هذا اليَوْمَ هو يَوْمُ سَعْدِهِ وهناهُ وجَميعُ ما يَتَمَنّاه يَتَحَقَّقُ وحَذَّرَتْهُ أنَّ مَغيبَ الشَّمْسِ سَيَكونُ آخِرَ مَوْعِدٍ لِتَحْقيقِ أمْنِياتِهِ.



إسْتفاقَ النَّحّاتُ منْ نَوْمهِ وقالَ في
نَفْسهِ أنَّ هذا مُجَرَّدُ حُلْمٍ وتابَعَ عَمَلَهُ في
نَحْتِ الصَّخْرَة. ولمّا اشْتَدَّتْ حَرارةُ الشَّمْسِ مَسَحَ عَرَقَهُ عَنْ
جَبينِه ونَظَرَ إلى الشَّمْسِ وقال: ما أَقْوى حَرارَةَ الشَّمْس،
إنَّ الشَّمْسَ قَويَّةٌ جِداً، حَبَّذا لو كُنْتُ شَمْساً.



وفَجْأةً صار النَّحّاتُ شَمْساً وأَدْرَكَ أنَّ ما قالَتْهُ الجِنِّيَّةُ حَقيقيٌّ.
وصارَ يَتَباهى بِكَوْنِهِ الأَقْوى وبَيْنَما هُوَ كَذلك أَتَتْ
غَيْمَةٌ وحَجَبَتْ نُورَ الشَّمسِ وحَرارَتَها فقالَ النَّحّات: إنَّ
الغَيْمَةَ هي الأَقْوى ، أُريدُ أنْ أَكونَ الغَيْمَةَ.



وصارَ كَذلك وصارَ يُلاحِقُ الشَّمْسَ، يَحْجُبُ نُورَها مِنْ ناحيةٍ لأُخْرى. وإذْ برِياحٍ تَهُبُّ فَجْأَةً وتَقْذِفُ الغَيْمَةَ إلى البَعيدِ البَعيدِ فقالَ النَّحّات : إنَّ الرِّياحَ أَقْوى مِنَ الغَيمَةِ ومِنَ الشَّمْسِ أيْضاً، أُريدُ أنْ أكونَ رِياحاً.



فَصارَ رِياحاً وصارَ يُلاحِقُ الغُيومَ ويُلاعِبُ أوْراقَ الأَشْجارِ وَيَنْزَعُ شَعْراً مُسْتعاراً عنْ رَأْسِ عَجوزٍ مارَّةٍ في الشّارِعِ أَوْ قُبَعَّةَ قَشٍ عَنْ فَلّاحٍ في حَقْلِهِ.



وبَيْنَما كانَ فَرِحاً بِكَوْنِهِ الأَقْوى اصْطَدَمَ بِصَخْرَةٍ قَوِيَّةٍ يَمْتَدُّ أصْلُها في أَعْماقِ الأَرْضِ. حاوَلَ أَنْ يَنْزَعَها فَلَمْ يَقْدِرْ، كَزَّ على أَسْنانِهِ مُحاوِلاً زَحْزَحَتَها لمْ يَقْدِرْ، فَتَوَقَّفَ لاهِثاً وقال: إنَّ الصَّخْرَةَ هِيَ الأَقْوى أُريدُ أنْ اكونَ صَخْراً.



وتَحوَّلَ إلى صَخْرَةٍ قَوِيَّةٍ مَتينَةٍ. لكنَّ النَّحّات المسْكينَ لمْ يَنْتَبِهْ إلى مَغيبِ الشَّمْسِ وبَقِيَ على حالِهِ صَخْرَةً مَزْروعَةً في وَجْهِ الشَّمسِ والغُيومِ والرِّياح. وفي صَباحِ أحَدِ الأيّامِ اسْتَفاقَ النَّحّاتُ الصَّخْرَةُ على صَوْتِ مِطرَقَةٍ. نَظَرَ للأَسْفَلِ فَرَأى نَحّاتاً فَتِيًّا مُبْتَدِئاً يَعْمَلُ بمِطْرَقَتِهِ وإِسْفينِهِ في بَدَنِ الصَّخْرَةِ وما إن مَرَّ النَّهارُ حتّى صارَتِ الصَّخْرَةُ تِمْثالاً بَديعَ الزُّخْرُفاتِ والتَّفاصيل.



وتَقولُ الحِكايَةُ أنَّ كُلَّ مَنْ يَزورُ هذا التِّمثالَ كانَ يَسْمَعُ صَوْتاً آتِياً مِنْ مَكانٍ ما، رُبَّما مِنَ التِّمْثالِ نَفْسِهِ. كانَ هذا الصَّوْتُ يَقول: يا زائري، إنْ أَرَدْتَ أنْ تَكونَ الأَقْوى فلا تَنْظُرْ حوْلَك، بَلْ أَغْمِضْ عَيْنَيْكَ وانْظُرْ في أعْماقِ نَفْسِك، لأنَّ القُوَّةَ كُلَّ القُوَّةِ هي في أنْ تكونَ أنْتَ نَفْسَك.







ISBN 9953-537-34-4
9 789953 537344
Book # A 330
أصالة
للنشر والتوزيع